المحاضرة السابعة

المحور الثاني: مملكة بوغندة

عنوان المحاضرة: قيام مملكة بوغندة وتنظيماتها الإدارية

مقدمة

أُعتبرت مملكة بوغندة واحدة من أقوى الممالك التي قامت في منطقة البحيرات الكبرى، وبالتحديد داخل البلاد التي تعرف اليوم بأوغندة، وبرز صيتها أكثر خلال القرن التاسع عشر، خصوصا في النصف الثاني منه، وتميزت بوغندة عن غيرها من ممالك الجوار في هذه الفترة بالذات نتيجة التنظيم الجيد في مختلف مناحي الحياة خصوصا السياسي والإقتصادي منها، إلى جانب توسع رقعة المملكة، علمًا أنها تقع بمنطقة منبع نهر النيل، وشمال بحيرة فيكتوريا مما يعني أنّها تحتل موقعًا استراتيجيا أهلّها أن تلعب الدور الرئيسي في المنطقة، إلى جانب ما قام به المَلِك موتسا الأول من دور في الحفاظ، والتقدم بالمملكة في ظل المخاطر التي كانت تحيط به من جهة أخرى.

وبرزت حنكته في التعامل مع الأجانب، وفي مقدمتهم المسلمين العرب والسواحليّين القادمين من شرق إفريقيا، والمصريين القادمين من الشمال، ومن بعدهم الأوربيين الذي قدموا إلى المملكة بعد استكمال المستكشف ستانلي لمهامه في المنطقة، حيث جاءت مجموعة كبيرة من أعضاء البعثتين البروتستنتية البريطانية، والكاثوليكية الفرنسية، فما كان من الملك موتسا الأول إلّا أن يلعب دور الدبلوماسي المحنك لتجنيب ضياع مملكته، وكسب حلفاء جدد قصد تقوية نفوذه أكثر في منطقة البحيرات.

قيام مملكة بوغندة:

تُعتبر مملكة بوغندة من أكبر الممالك السّياسيّة في دولة أوغندا، وهي تحتلّ الجزء المركزي (الأوسط) لأوغندا، وتشّغل بذلك أكبر مدينة في البلاد (كامبالا) العاصمة السّياسيّة للبلاد اليوم، ويُقدّر عدد سكانها حاليا بنحو 1.5 مليون نسمة، أي بنسبة 17% من مجموع السكان حسب إحصائيات 2017، وسكانها يمثلون أكبر مجموعة عرقية في البلاد، ويتكلم الناس بها لغة الغاندا، وتُسمَّى اليوم بلغة اللّوغندا (Luganda)، وهي منتشرة على نطاق واسع في البلاد.

تقع بوغندة في الجزء الشمالي الغربي من بحيرة فيكتوريا، تحدُها من الجهة الشرقية مملكة بوزوغا (Busoga) ومن الجهة الشمالية الغربية مملكة بانيورو (banyoro) أمّا من الغرب، فتحدها مملكة تورو (Toro) وأنكول Ankol، ويشغل إقليم بوغندة حوالي 25000 (خمسة وعشرين ألف) كم^2، وهو من أخصب الأقاليم في منطقة البحيرات العظمى، وتتكون بوغندة من أكثر من 52 اثنية عِرْقية، أكبرها هي 'الباغندة' التي تمثل 75% من نسبة السكان فيها.

يعود أصل قبيلة بوغندة إلى قبائل "البانتو"، التي ارتحلت من وسط إفريقيا، وبالضبط من منطقة خليج "بيافرا" في الحدود بين الكمرون، ونيجيريا في أزمنة قديمة (مابين القرن

10 و6 ق م تقريبا)، وعندما جاءت موجات من الغزاة الحاميين قادمين من شبه الجزيرة العربية عن طريق القرن الإفريقي امتزجوا مع هؤلاء البانتو فأصبحوا يُسمُّون بالبانتو الشرقيّين.

وبعد أن اكتملت هجرات الباغندا استوطنوا في الشمال من بحيرة فيكتوريا، في شكل مجموعات تربطها القرابة، لكن تحت التبعية للبانيورو، وبدأت في حدود عام 1150م تظهر إحدى الشّخصيات من منطقة جبل ماسابا(Masaba) يُعرف بـ 'كاتو كنتو' (Kato Kintu)[i]، حيث قام هذا الأخير إلى جانب قواته التي كان يقودها إلى دخول بوغندة، واغتصب العشيرة الحاكمة، ونصّب نفسه حاكما عليها وبذلك أصبح لبوغندة أوّل ملك يعرف في لغة الغاندا بـ 'الكاباكا' [ii](Kabaka) ؛ أي الملك، وعلى الرّغم من ذلك لم يعمل 'الكاباكا كنتو' على إلغاء قيادة العشيرة؛ بل عمل على قطع سلطتهم السياسية، وترك لهم الدور التقليدي للحكم في عاداتهم، وتقاليدهم في حين احتفظ هو لنفسه بالسلطة السياسية.

وقبل القرن التاسع عشر بِوَقْتٍ طويل كان الباغندا دائمًا موضوع إعجاب بالنسبة 'للبانيورو' بحُكم التفوق الذي كانت تعرفه، ولكن بعدما بدأ الضعف يدبُّ في مملكة 'بانيورو' أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت بوغندة كمنافس قوي لها، وسيتحول ذلك التفوق من البانيورو إلى بوغندة؛ لعدّة اسباب أبرزها، التجانس الكبير لسكانها، والنظام السياسي المركزي، إلى جانب فعالية المؤسّسة العسكرية.

إنّ بروز مملكة بوغندة، وتفوقها على 'البانيورو' كان باعتمادها أكثر على نظرية الموز[iii]، في أغلب الأحيان، حيث صار إقتصادها كُلُّه مبنيًا على إنتاج هذه المادة[iv]، وهذا لإشتغال أغلب الناس فيه، خصوصا فئة النساء منهم، والباقي في الخدمة العسكرية، ويؤكّد هذا القول كذلك المؤرخ هنري ميدار Henri Médard الذي يشير إلى أنَّ العديد من المجتمعات التي تحيط ببحيرة فيكتوريا على غرار بوغندة كانت تستند إلى زراعة الموز لكن ليس بالحجم الذي كانت عليه مملكة بوغندة.

<u>التنظيم الإداري لمملكة بوغندة</u>:

التنّظيم الإداري لبوغندة هو الجانب الذي لفت انتباه الكثير من ممالك الجوار، كروندا، وبورندي، والبانيورو، وكذا الجغرافيّين، والتّجار الأجانب، وحتّى المبشرين الأوربيّين البروتستنت، والكاثوليك فيما بعد، وهذا للتنظيم الجيد والمتسلسل في هَرَمِ السلطة، ولم يمثل الباغندة مُجْتَمعًا بِدائيًا فحسب، وإنّما كانت لهم حضارة خاصَة على رأسها المِلْكِية المُطْلَقة، وهي مصدر الحكم، والدين لأبناء القبيلة؛ ولذلك فإنّها كانت مِلكيةٌ مقدّسة في نفس الوقت، ويُرْجِع (سليجمان) مظاهر التحضُرِ، والحضارة عند الباغندة إلى نظام الحُكْمِ المركزي المُتَقدمِ نتيجةً للمؤثرات الحامية التي وفدت إلى هذه المنطقة منذ حوالي عشرة قرون.

يُعْرَف الملك عند الباغندة بـ 'الكاباكا'، ويعني: الصياد الماهر، ويُعرف أيضا بـ 'ساباساجا' (Sabasaja)، والذي يعني الأفضل، والأقوى بين كلّ الرجال، وفي كل شيء، كما يُعرف أيضا بـ 'سابالانغو' (Sabalango)، ويعني والد الجميع، وفي عهد المَلِك 'موتسا

الأول' كان 'الكاباكا' على رأس كلّ شبكات الحُكْمِ، بحيث أنّه هو من يحكم؛ أي 'كيفوغا'(Kufuga)، وبمعنى أدقّ هو، رئيس الجيوش والعَدْلِ، والإدارة، أشار الرحالة 'سبيك Speke[v] بأنّ الباغندة كانوا ينظرون إلى الملك موتسا الأول (1856م- 1884م) كالإله، ويكتب 'Gale' عن هذا الأمر، فيقول: "بأن ملوك بوغندة كان يُنْظَر إليهم على أنّهم آلهة، ولذا كان الكاباكا يأكل دائما بمفرده، وسرًا لألُوهيته".

وبدوره المَلِك (الكاباكا) لا يتخذ في كثير من الأحيان قرارًا إلّا بعد الاستماع إلى رأي المجلس المحلي، أو البرلمان، والمعروف بـ (اللوكيكو)، بحيث أنّ الجزء الأكبر من أعمال المَلِك السياسية تدور حول اجتماع اللوكيكو الذي يجتمع فيه مع الشخصيات الكبيرة في الحكم، أو ممثليهم، فهو يجتمع تقريبا كلّ يومٍ، ودون جدول زمني محدّد.

ويتكون أعضاء حكومة الكاباكا من 12 رئيسًا، يُعْرَفون باسم 'سازا' (Saza)، أو 'أمباسازا' (Abamasaza)، فيهم اثنان في مرتبة أعلى هما: 'الكاتيكيرو' (رئيس الوزراء)، و'الكيمبيغوي' Kimbugwe (الحبل السُّرِي للمَلِك، وحارس ثروته)، ولا توجد مناطق خاصّة بهاذين المسؤولين يحكمانها؛ بل عملهما كُلّه داخل القصر، عكس الملك الذي له عقاراتًا، وممتلكاتًا أخرى في كلّ منطقة.

وخلال عهد الملك موتسا الأول (1856-1884م) كانت البلادُ مقسّمة إلى عشر مناطق كبرى تُعْرَف بـ 'سازا' (Ssaza)، كلّ منطقة تُحْكَم من قِبَلِ رئيسٍ يُعْرَف بـ 'أماسازا' (Amasaza)، وتنقسم كلّ منطقة 'سازا' بدورها إلى عددٍ متغيرٍ من العشائر تعرف بـ 'غومبولالا' (Gombolala) ، وتنقسم هذه الأخيرة إلى فروع تُسَّمى بـ 'كيولو' (Kyolo)، التي تنقسم بدورها أيضا إلى وحدات صغيرة بِحَجْم القرية الصغيرة تُعْرَف بـ 'ميروكا (Miruka).

---

[i] يرى المبشر الأنثربولوجي جون روسكو أنّ كنتو (Kintu) يرجع إلى الأصل الحامي، وبذلك يؤيد روسكو رأي كلّ من 'ستانلي'، و'جونسون'، في حين يرى 'كزكانوسكي' بصعوبة تحديد الأصل السّلالي لكنتو، لكنّه يميل إلى القول بأنّ كنتو، وأتباعه جاؤوا من الشمال، وأنّهم ينتمون إلى قبيلة 'مادي' Madi السودانية التي توجد في شمال أوغندة.

[ii] الكاباكا عند سكان مملكة بوغندة معناه "الملك"، وهو من يترأس السلطة، ويدير شؤون المملكة، وجميع ما يَحْصُل في المملكة لابدّ أن يعلم به، وهو المسؤول عن حياة النّاس في المملكة، ومصطلح الكاباكا Kabaka يُستعمل في لغة الغاندة المعروفة بـ 'لوغندة' Luganda للتعبير عن المسؤول الأوّل في المملكة.

[iii] اهتمام بوغندة بمادة الموز راجع إلى تلاؤم الطبيعة والمناخ مع هذا الانتاج لذلك كانت هي أكبر المناطق انتاجا له،

[iv] يذكر سليجمان في أسطورة تقول بأن كينتو عندما جاء إلى هذه المنطقة كانت معه بقرة ودجاجة وفرعي شجرة موز وبطاطا، وقد زرع فرع شجرة الموز في أرض قبيلة (غندا) والفرع الآخر في قبيلة نيورو، كما أعطى الباغندة الدجاجة والبانيورو البقرة ثم اختفى في الغابات مع بعض أعوانه.

[v] اسمه الكامل، 'جون سبيك'، ويُعرف بالكابتن سبيك، أبحر في نهر النيل رفقة المستكشف بيكر بحثا عن المنابع الحقيقية لنهر النيل، وصل إلى بلاط الملك موتسا عام 1882م حيث استقبله في قصره، ورحّب به، وهو من رخص له بالإبحار في بحيرة فيكتوريا.